# كشف الستر لأهل السرّ



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ باللّه، عليه توكلت وإليه أنيب. الحمد للّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، القيوم السرمد، الأول والآخر، والباطن والظاهر، وهو بكل شيء عليم، وسع كل شيء برحمته، ودبر كل شيء بحكمته، وخلق (آدم) على صورته، وأسجد له ملائكته، والصلاة والسلام الأبديان السرمديان على سيدنا (محمد)، أكمل المظاهر الإلهية، وأجمع البرازخ الإنسانية، وعلى آله وصحبه وورثته وأولادهم، أهل المراتب العرفانية والمناصب التوحيدية.

أما بعد: فلما فتح لنا الحق سبحانه أبواب الحقيقة، بعد أن منحنا أسباب الطريقة، وهدانا لكشف أسرار التوحيد، ولكل مسترشد سعيد، فكشفت في هذا المختصر، لمن شرح اللّه صدره ووسّع قلبه وأشهده سر قوله: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[1]، ولذلك أشار سيدنا (علي) كرم اللّه وجهه، حيث قال: من عرف نفسه فقد عرف ربه، ومن عرف ربه فقد أحبه، ومن أحبه الحق فقد جذبه، ومن جذبه فقد قرّبه، ومن قرّبه أفناه عن وجوده، وأبقاه بشهوده، ومنحه كمال مشهوده، وأطلعه على حقائق جوده. وسميتها بكشف الستر لأهل السر، مستمداً من اللّه هداية طريقه، وبيان الحق بتحقيقه، إنه بمقاصدنا ولي كفيل، واللّه يقول الحق وهو يهدي السبيل. اعلم أيها المسترشد السعيد أرشدنا اللّه وإياك إلى الصراط الحميد، أن من أراد الخوض في بحر التوحيد، والعبور على قنطرة التفريد، لا بدّ له من التحقق بالفناء، أما بالذوق الصحيح الحالي، أو بالكشف الصريح العالي، ومن لم يكن له قدم صدق في الفناء، لم يجز له أن يحوم حول هذا الفناء، ومن توجه بغير دليل إلى الحمى، لم يزدد إلاّ ضلالاً وعمى، وقال:

**متى ما شئتَ تطلب دار ليلى … بغير طريقها وقع الضلالُ[2]**

---

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ٢: ٢٦٢.

(٢) من الوافر.



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومـرآة الـبـصـيـرة كـيـف يـبـدو　　بـهـا شـيء ومـا حـصـل الـصـقـالُ

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[1]؛ لأن لكل مقصد سبيلاً، ولكل وجه مولياً ودليلاً، وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الفناء هو اضمحلال ما سوى الحق سبحانه وتعالى، وذلك بأن لا ترى موجوداً غيره، ولا وجوداً إلاّ له، وما سواه هالك، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2] وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾[3]، فيتحقق لك عدمك الأزلي، فتكون للّه كما لم تكن، فيكون لك كما لم يزل، ولا ترى الكون إلاّ خيالاً، لا حقيقة له في نفسه، وإنما حقيقته الحق[4]، ووجوده من حيث هو هو، مع عدم الإطلاق والتقيد، وجود الحق سبحانه وتعالى:

هـذا الـوجـود وأن تـكـثـر ظـاهـراً　　وحـيـاتـكـم مـا فـيـه إلاّ أنـتـمُ[5]

أنـتـم حـقـيـقـة كـل مـوجـود بـدا　　ووجـود هـذي الـكـائـنـات تـوهـمُ

❀ ❀ ❀

إنـمـا الـكـون خـيـال　　وهـو حـق فـي الـحـقـيـقـه[6]

والـذي يـفـهـم هـذا　　حـاز أسـرار الـطـريـقـه

وبعد تمهيد هذه المقدمة نشرع في المقصود، واللّه يبلغ المقصود؛ لأنه هو المقصود الموجود المعبود. اعلم [٥٢و] أرشدنا اللّه وإياك أن من تحقق بمعرفة نفسه، فقد تحقق بمعرفة ربه، والتحقق بمعرفة النفس، هو أن يحقق اللّه سبحانه للعبد المؤمن، والإنسان الكامل، الوارث للخلافة الإلهية من معدن الرسالة المحمدية، أنه مخلوق على صورته، وهو (آدم) عصره ووقته، لقوله عليه الصلاة والسلام: (إن اللّه خلق آدم على صورته)[7]، وفي رواية: على صورة الرحمن، وجاء في أول التوراة «نريد أن نخلق إنساناً على مثالنا وشكلنا وصورتنا»[8] أو كما قال سبحانه.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٨.
(٢) سورة القصص، الآية ٨٨.
(٣) سورة الرحمن، الآية ٢٦.
(٤) «الحق» حاشية.
(٥) من الكامل.
(٦) من الرمل، فصوص الحكم: ١٥٩.
(٧) شرح الجامع الصغير، ٤٤٧/٣، ورواه أحمد في مسنده والبخاري، ومسلم عن أبي هريرة، ورواه عنه الطبراني وغيره.
(٨) «وقال اللّه لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا» العهد القديم، سفر التكوين: ٢٦/١.



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولما صحت الخلافة للإنسان الكامل، أراه إنشاء صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وصورته الباطنة على صورته تعالى[1] ولذلك قال تعالى:

(كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به)[2]، ولم يقل: كنت أذنه وعينه وحيث أوردنا هذه الكلمات وجب أن نبيّن معنى الصورة وأقسامها، ومعنى الصورة المخلوق عليها (آدم)، فالصورة: هيئة اجتماعية من أوضاع مخصوصة شكلية، في أي مادة فرضت، وأي أجزاء قُدِّرت ومُثِّلت، وتنقسم الصورة إلى: عقلية، وعلمية، وخيالية، وذهنية، ونورية، وروحانية، وإلهية، فالصورة المذكورة في الحديث، هي صورة إلهية نورية ذاتية قائمة بجناب اللّه تعالى وتقدس، وهي جمعية صور الربوبية، والحقائق الوجوبية، التي مادتها وهيولاها عماء الرب، والحقيقة الفعالة لها أحدية جمع ذات الألوهية، وظاهر الطبيعة الكلية، التي يُعبر عنها في مشرب التحقيق بالحقيقة الإلهية الكلية، الحاصرة لقوابل العالم كله، ومواد عينها الفعالة للصور كلها، وهذه الحقيقة تفعل الصور الاسمائية بباطنها في المادة العمائية، كما ذكرنا، وهي منها وعينها، ولا امتياز بينها وبين العالم، إلاّ في التعقّل، لا في العين فإن النشأة واحدة جامعة بحقيقتها للصور الحقانية الوجوبية العلوية، والصور الخلقية الكونية السفلية الإمكانية، من الحقائق الكيانية. وأمهات الحقائق ثلاث[3]: الأولى: حقيقة مطلقة بالذات، فعّالة مؤثرة عالية، وجودها واجب لها بذاتها، وهي حقيقة الحق ـ وهو اللّه سبحانه وتعالى ـ واحدة شائية. والثانية: حقيقة مقيّدة، منفعلة سافلة متكثرة قابلة للوجود من الحقيقة الواجبة بالفيض الأقدس، والتجلي الأنفس، وهي حقيقة العالم الممكن بذاته، واجب بغيره، يعني: واجب بالمظهر له، والمتجلي به، وهو واجب الوجود الحق سبحانه. الثالثة: حقيقة أحدية جامعة بين الإطلاق والتقييد، والفعّال والانفعال، والتأثير والتأثر، فهي مطلقة من وجه ونسبة، مقيدة من أخرى، فعّالة من وجه، منفعلة من آخر، وهذه الحقيقة هي: أحدية جمع الحقيقتين، ولها مرتبة الأولية الكبرى، والأخروية العظمى، والبرزخية الشاملة المثلى، وهي للبرزخ الجامع، والإنسان الكامل، التي صورة اللّه مستوية على عرش قلبه كشفاً وتحقيقاً، وشهوداً وتدقيقاً، وإيماناً وتصديقاً، وحقاً موجوداً، كما قال عليه

---

(١) «فما صحت الخلافة إلاّ للإنسان الكامل، فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ولذلك قال فيه (كنت سمعه وبصره) وما قال: كنت عينه وأذنه» فصوص الحكم، ٥٥.

(٢) البخاري، رقاق ٣٨، وأخرجه «ابن عربي» في ـ مشكاة الأنوار، ٧٧ برقم ٩١، وأحمد بن حنبل ٦/ ٢٥٦.

(٣) في الأصل «ثلاثة».



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصلاة والسلام حكاية عن الله عزّ وجل: (ما وسعني أرضي ولا سمائي، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن)[1]، فالعبد المؤمن هو القابل الكلي، والكون الجامع الآلي، الذي [٥٢ظ] تظهر به الأسماء والصفات، والأفعال والذات، على ما هي عليه من الكمال، فيؤمن بقابليته الكلية المحيطة، ويعطي الأمان لصور الذات، والأسماء والصفات، والأفعال والآيات الظاهرة في مظهريته عن التغيير والتحريف والتبديل، فتظهر صورها في مرآته الكاملة الشاملة كاملة، ويؤمن أيضاً أن يعطي الأمانة لصور النسب وحقائقها أيضاً، من عدم ظهور آثارها من خفاء حكم الغيب والعدم، بإظهارها في محال ظهور أحكامها وأسرارها في حقائق مظهرياته المعنوية والروحانية، والطبيعية، والعنصرية، والمثالية، فالإنسان الكامل هو المظهر الكلي، والمقصد الغايتي الأصلي، حامل الأمانة الإلهية، وصاحب الصورة النزيهية عن المثلية، ولما كان المراد الكلي المطلوب، والمقصد الغايتي المحبوب من إيجاد العالم، كمال الجلاء والاستجلاء، وظهور الحق، وإظهار نفسه لنفسه، ظهوراً فعلياً تفصيلياً، كما اقتضت ذاته المطلقة تكميلاً لمرتبتي الجمع والفرقان، والعلم والقرآن، والإخفاء والإعلان، والرحمة والرضوان، لإظهار الغيب والشهادة، وتفنن القدرة والإرادة، وكان الحق سبحانه في كماله الذاتي، يرى ذاته في ذاته بذاته، رؤية ذاتية، غير زائدة على ذاته ولا متميزة عنها، لا في العقل والتعقل، ولا في الواقع والخارج، ويرى أسماءه وصفاته ونعوته وتجلياته، وأفعاله وآياته أيضاً، كذلك نسباً ذاتية، لها شؤون[2] عينية غيبية مستهلكة الاحكام، تحت قهر الأحدية، غير ظاهرة الآثار، ولا متميزة الأعيان بعضها عن بعض، منطمسة في حيطة جلال الصمدية، مضمحلة في أنوار الواحدية، كامنة كائنة في عين الفردية، وكينونتها فيها وكمونها ككينونة النصفية، والثلثية، والربعية، وغيرها من النسب في الواحد، هذا من حيث كماله الذاتي الأحدي، ولكنه شاء أن يظهر من حيث الكمال الاسمائي التفصيلي، بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، في مظاهرها ومجاليها ومراتبها، التي يرى الحق فيها نفسه: «لأن رؤية الشيء نفسه في نفسه ليست مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة، فإنه تظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه، مما لم يكن يظهر له من غير وجود هذا المحل ولا تجليه له»[3]، فلا تكون رؤية الحق نفسه في كون جامع للأمر على ما[4] هو عليه، وهي رؤية ذاته في ذاته، كرؤيته سبحانه وتعالى في كون غير

---

(١) الإحياء، الغزالي، ١٥/٣.

(٢) في الأصل «شؤوناً».

(٣) فصوص الحكم، ٤٨ ـ ٤٩.

(٤) «ما» حاشية.



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جامع للأمر على ما هو عليه؛ لأن الأسماء الإلهية كانت في قبض قهر الأحدية الجمعية الإلهية الذاتية، أحدية في الحضرة الأحدية، لا ظهور لها لعدم مظاهرها، وهي العوالم، وكلها عالم: (كان اللّه ولا شيء معه)[1] وكانت كثرة الأسماء مستهلكة مكمونة مجملة في أحدية عين الذات، ولسان تعينه بكنى حرف التاء، وهو تعينه في ذات اللاهوت، كنزاً جامعاً لجوهر حقائق الأسماء والمسميات، إذ الكنز ذهب وفضة وجواهر مجتمعة في الغيب، فالذهب صورة الذات، والفضة صورة الصفات، والكنز مخفي عن الأغيار، فأحب الحق بمشيئته من حيث الأسماء أن يعطيها التحقق في أعيانها بالوجود والإيجاد، وتحقق في [٥٣و] حقائقها للشهود والاشهاد على رؤوس الاشهاد، كما قال سبحانه: (كنت كنزاً مخفياً لا أُعرف، فأحببت أن أُعرف)[2]، أي أن يعرفني كل تعين من تعيناتي في مظاهري ومجالي ومراتبي، التي ليست ذات الألوهية، بل بسببها يظهر السر الكامل بتجلي الحق، التجلي التعرفي، في قوله:

فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم بالنعم فبي عرفوني.

فلما شاء الحق سبحانه، وأحب إظهار سره الكامن، وجلاء حسنه الباطن، وإبداء كماله المستحسن، بجميع المحامد كلها والمحاسن كقوله:

كل الجمال غدا لوجهك مجملاً ... لكنه في العالمين مفصلُ[3]

ظهر بالكون الجامع الإنساني، والكتاب الأكمل الفرقاني، والمظهر الشامل القرآني، وصورة الاسم الرحماني، الحاصر للأمر الإلهي الكياني؛ لأن الإنسان أول بالحقيقة، والآية في البداية، آخر في الغاية والنهاية، ظاهر بالصورة، باطن بالسر والسورة جامع الأولية والآخرية، والباطنية والظاهرية وجميعته؛ لكونه برزخاً جامعاً بين بحري الوجوب والإمكان، ولما كانت مرتبته جامعة بين الحقية والخلقية، والربانية والعبدانية، تعيَّن الوجود الحق في مظهريته بحسبها تعيناً كلياً جمعياً أحدياً فالمرتبة منحصرة بين الحق الواجب والخلق الممكن، معمورة بهما، فالحق أبداً حق على بقائه وغنائه ووجوده الذاتي، والخلق خلق أبداً على فنائه وفقره وعدمه الذاتي، فالوجود للحق، وهو في مرتبته الحقية حق، وفي مرتبته الخلقية خلق، وفي النشأة الإنسانية الجامعية خلق جامع بينهما، مطلق عن الجمع بينهما أيضاً، فالدائرة الوجودية محيطة

---

(١) ورد بلفظ «كان اللّه ولم يكن شيء قبله» صحيح البخاري، باب التوحيد، حديث رقم ٢٢، مسند ابن حنبل مجلد ٢، حديث رقم ٤٣١.

(٢) كشف الخفاء، العجلوني: ١٣٢/٢، والمقاصد، للسخاوي، ٣٢٧.

(٣) من الكامل، ووردت (مفصل) في الأصل «مفصلاً»، وورد البيت في اصطلاحات الكاشاني منسوباً إلى (الشيباني).



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بقوسين، ومتنصفة بشطرين على قطرين، فالشطر الأعلى للحقية والوجوب، والشطر الأدنى للكون والخلق، والبرزخ الجامع يظهر بالتعيين ويصدق على إطلاق الحكمين، وله الجمع بين البحرين، وليس له نعت ذاتي سوى الجمعية والإطلاق، فله أن يظهر بمظهرية الأسماء والمسميات والذات على الوجه الأوفى، فعند مشيئة الحق ومحبته من حيث الأسماء الحسنى، والتجليات العليا، أن يتعين بتعيناته القصوى، تجلّت تجلياً جمعياً، وانبعثت انبعاثاً حبياً إلى المظهر الكلي، الجامع للأمر الإلهي، فامتدت رقائق النسب إلى متعلقاتها، واشرأبت حقائق الوجوب إلى متعلقاتها، وطلبت الربوبية المربوب، والإلهية المألوه[1]، والمحبوبية المحبوب، فقامت بظاهرياتها مظاهر لباطنها، وبشهادتها مجالي لغيبها، فالظاهرة لمظاهر هي عينها الناظرة، بمناظر هي عينها، وفيها أنّيها ظهرت الحقائق الوجوبية، والنسب التي اقتضتها الربوبية في متعلقاتها ومظاهرها ومجاليها، وزهرت أنوار التجليات الفعلية في مراتبها ومرائيها، فرأت أنفسها متمايزة الأعيان والآثار، متغايرة الظلم والأنوار، وتعينت أحكامها ولوازمها ممتازة، وثبتت عوارضها ولواحقها إلى أحيازها منحازة، فأعيان الموجودات المعلومات العلوية، وأشخاص المخلوقات السفلية مظاهر النسب الوجوبية، ومجالي تعينات أسباب الربوبية، فيرى الحق فيها حقائق الأسماء، وأعيان صفات الاعتلاء على عروشها، ومحتوية على جنودها وجيوشها، فما منا إلاّ له من الحق مقام معلوم، ومن الوجود ذوق [٥٣ظ] مقسوم.

واعلم أن المناظر، والمجالي، والمظاهر، والمرائي التي يرى الحق فيها نفسه، لو لم يكن لها حيثية متعينة، وخصيصة واستعداد معيّن تمتاز بها عن الظاهر فيها، لكان الظاهر فيها - وهو الحق - غير متعين عن غيبته، فظهور الحق وتجليه في مرتبة من المراتب، جزئية كانت أو كلية، إنما يكون بحسب المحل، ويقبل بقدر ما أعطاه الحق من الاستعداد، وما هيأ له من القابلية، وليس ذلك بحسب الحق؛ لأن ذلك لا يسعه قلب المؤمن، ولا يسعه شيء أبداً، وذلك تجلي الحق بذاته على ما هي عليه لذاته، وإنما وسع قلب المؤمن التجلي الاسمائي، وهو تجلي الحق بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا كليها، ويسمى تجلي الألوهية للمألوه الذي هو صورة جمعيتها، ومظهر شؤون حكمتها؛ لأن الحق أوجد العالم وجود شبح بلا روح، فكان كمرآة غير مجلوة[2]،

---

(١) «وان الأسماء الإلهية عين المسمى، وليس إلاّ هو، وأنها طالبة ما تعطيه من الحقائق، وليست الحقائق التي تطلبها الأسماء إلاّ العالم، فالألوهية تطلب المألوه، والربوبية تطلب المربوب، وإلاّ فلا عين لها إلاّ به وجوداً أو تقديراً». فصوص الحكم، ١١٩.

(٢) «وقد كان الحق سبحانه أوجد العالم كله وجود شبح مسوى، لا روح فيه فكان كمرآة غير مجلوة». فصوص الحكم، ٤٩.



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فجلاها بالإنسان الكامل الجامع لحقائق العالم، وصورها وأسمائها ومسمياتها، بكمال مظهريته ذاتاً وصفاتاً، وصورة ومعنى، جمعاً وتفصيلاً، ظاهراً وباطناً، وأولاً وآخراً، ولا يحصل كمال العالم، وأسماء الحقائق والأعيان، إلاّ بنشأة (آدم) في عين العالم، ووجود الإنسان الظاهر بصورة الرحمن، فكان الإنسان الكامل روحاً لذلك الشبح العالمي، فكان قبول الإنسان الكامل للتجلي الإلهي أكمل قبول؛ لأنه ما من قابل من القوابل يقبل فيض الحق على نحو من القبول، ويتعين تجلي من التجليات وصورة من مظهريه، إلاّ وفي الإنسان الكامل مثل ذلك القابل على الوجه التام من حيث إن التجلي على جميع الأشياء، وعلى كل القوابل كامل، وفي الإنسان الجامع أكمل، فروحانيته أتمّ الروحانيات وأكملها، وطبيعته العنصرية أجمع الأمزجة وأعدلها، ونشأته أوسع النشآت وأفضلها، وأشملها، واستعداد مظهريته لظهور الحق أعم المظهريات والاستعدادات، وأقبلها وأعظمها، وتعين صورة الحق والخلق في مظهريته أكمل التعينات وأجلّها وأشرفها وأكبرها، وبه حصل كمال الجلاء والاستجلاء، وبه اتصل كمال فيض الذات بالأسماء فهو مظهر الفيض الجامع، والبرزخ الشامل المحيط المانع، وبه تميز الوجوب عن الإمكان، وظهر كمال حقائق الأسماء والأعيان، فكان (آدم) بصورته العنصرية جلاء مرآة العالم، وكان العالم شبحاً لا روح فيه[1]، قبل وجود هذه النشآت الإنسانية، الجامعة للكمالات الإلهية، فكان روح العوالم الكلية والجزئية؛ لأنه رابطة فيض شؤون الحق الذاتية والاسمائية والصفاتية، على حقائق العالم الكلية والجزئية، فجلى الحق سبحانه عن هذا العالم الصدأ، الذي كان فيه بصورة (آدم)، وتجلى الحق سبحانه على هذا المجلى الأتم، والمظهر الأعم، تجلياً كاملاً، وتحققاً شاملاً، فرأى نفسه فيه رؤية ذاتية، وإحاطة كلية شاملة للاسمائية الإلهية؛ لأنه سوّاه مرآة لذاته، ليرى فيه علماً وعيناً جميع كمالات أسمائه وصفاته، وأفعاله وآياته، فظهر لنفسه فيه ظهوراً جامعاً بين الكمال الاسمائي والكمال الذاتي، وكمّل به نشأة العالم، وخصّصه بحقائق الأسماء وسماه (آدم)، فالعالم كله كالعين الجامعة للأعيان، ونور تلك العين وسرّها الإنسان؛ لأنه صورة الرحمن، الجامع لحقائق الأسماء والأعيان، وصور الموجودات والأكوان، فكان قابلية العالم مظهر صورة (آدم)، وجلاء قلبه الأعظم جمعية الإنسان الأكرم، وروحه القائم بقلبه وصورته، وقابليته وجلائيته، عين تجلي الرحمن، على قلب الإنسان بالفيض الأقدس، والتجلي الأنفس، فقلب الإنسان الكامل مظهر الكمالات الإلهية، وصورته روح الحقائق الكلية، واستعداده سر الجمعية الإنسانية، فروحه مرآة الذات الأحدية، وقلبه مجلى الكمالات الواحدية، وعقله جلاء العوالم الكلية، وجسمه روح

---

(١) «فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح تلك الصورة». فصوص الحكم، ٤٩.



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموجودات الحسية، فهو صورة الحق الظاهر، ومرآة اسمه الباطن، والمقصد الأول، والمظهر الآخر، فهذا معنى قوله صلى اللّه عليه وسلم: (إن اللّه خلق آدم على صورته)[1] ومن كشف الحق له هذه الأسرار، وأفاض على قلبه من هذه الأنوار، ووهبه اللّه من خصائص هباته، وكشف له ما طبع في مرآته، وتحقق [٥٤و] بمعرفة نفسه، التي توجب له التحقق بمعرفة ربه كشفاً وشهوداً، فعرف حينئذٍ من هو، وما هو المقصود منه ما هو، حققنا اللّه بحقائق معرفته، وهدانا إلى سبيل توحيده وهدايته، إنه بأحوالنا عليم كفيل، يهدي اللّه لنوره من يشاء، واللّه يتولى الحق وهو يهدي السبيل.

ثم اعلم أن معرفتك للحق، إنما هي معرفتك لنفسك ومعرفتك بنفسك، لها مرتبتان في مشرب التحقيق: ـ الأولى: معرفتك بربك من حيث أنت، الثانية: معرفتك بربك من حيث هو، لا من حيث أنت[2] فالمتحقق بالمعرفة الثانية مرضي عند ربه، منادى بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[3] فما أمرها أن ترجع إلاّ إلى ربها، الذي دعاها فعرفته من الكل، راضية مرضية، فادخلي في عبادي من حيث ما لهم هذا المقام، هم كل عبد عرف ربه، واقتصر عليه، ولم ينظر إلى رب غيره، مع أحدية العين، فالنفس المطمئنة لا بدّ أن تدخل فيهم، فإن المقام بينها وبينهم، لكونهم راضين مرضيين مخاطبين، وادخلي جنتي التي بها أسترك[4]، وهي ستري، وليست جنتي سواك يا عبدي، فإذا دخل العارف جنة ربه، حيث ظهر فيه وعرف به، مستتراً عن الأفعال والآثار المذمومة عند من لا يرضاها من الأرباب والعبيد؛ لأن لكل اسم عبداً[5] هو ربه، وذلك العبد جسم وهو قلبه، فصار وقاية لربه عن ألسنة أهل المذام والعيب؛ والمذام هي بالإضافة إلى العبد آثار لربه، وجعل ربه وقاية وجُنة له في جميع المحامد، فأضافها جميعها إلى ربه فلا تضاف المحامد إليه من حيث

---

(١) تقدم تخريج الحديث آنفاً.

(٢) «فتكون صاحب معرفتين: معرفة به من حيث أنت، ومعرفة به بك من حيث هو، لا من حيث أنت». فصوص الحكم، ٩٢.

(٣) سورة الفجر، الآية ٢٧.

(٤) «وكذلك كل نفس مطمئنة قيل لها: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ فما أمرها أن ترجع إلاّ إلى ربها، الذي دعاها فعرفته من الكل، راضية مرضية ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩﴾ من حيث ما لهم هذا المقام، فالعباد المذكورون هنا كل عبد عرف ربه تعالى، واقتصر عليه ولم ينظر إلى رب غيره، مع أحدية العين لا بدّ من ذلك، وادخلي جنتي التي بها ستري». فصوص الحكم، ٩٢.

(٥) في الأصل: (عبد).



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو، بل إلى ربه، واستتر بربه عن الإضافة والمحامد، كما استتر ربه به عن المذام، فكما أن العبد لا يوجد إلاّ بربه، فكذلك الرب لا يكون ظاهراً متعيناً في عينه إلاّ بعبده، فهو مظهِره ومظهَره، والناظر فيه وبه، وإذا ثبت أن اللّه لا يُعرف بالحقيقة؛ لأن التجلي الأحدي ممتنع؛ لأنه تعالى بالذات غني عن العالمين، فتجليه الأحدي لا يُبقي غيراً متجلياً له، فلا يكون تجليه الأحدي إلاّ بذاته لذاته، فلا يعرف حقيقته إلاّ هو، بل من حيث ظهور الأسماء عن البطون، وبروزها عن الكمون، افتقرت إلى المظاهر، وأثبتت أن الحق هو الأول والآخر، كما هو الباطن والظاهر، وإذا ثبت أن اللّه لا يعرف بالحقيقة، فعبده الذي هو مظهره لا يعرف بالحقيقة، فإذا نادى كل رب عبده إليه، وأمره بالدخول في جنته والوقوف عليه، فيدخل العارف نفسه ويعرف أنه مظهره ومجلاه، هو عبده، وهو ربه ومولاه، وهو عرشه ومستواه، فلا ينفك ربه يحبه ويرضاه، ولا يزال عبده يعرفه ويهواه، فلا بدّ لكل منهما عن الآخر، كما قيل:

فما انفك يرضاني بكل محبة ... وما زلت أهواه بكل مودةِ[1]
فممتنع عنه انفصالي وواجب ... وصالي بلا إمكان بعد وقربةِ

فحينئذٍ يعرف العبد نفسه بربه، وبه عبر المعرفة الأولى، وفي هذه المعرفة يضاف إليه كل ما يضاف إلى ربه من الكمالات، ويضاف إلى ربه كل ما يضاف من المظهريات، فيعرف نفسه بربه، بعد معرفته ربه بنفسه، طرداً وعكساً، جمعاً وفرادى، دائماً أبداً؛ لأن دخول الجنة دخول مخلد مؤبد، فيعرف نفسه وربه، من حيث ربه لا من حيث هو، وكان يعرف ربه من حيث نفسه، فحصل له الجمع بين المعرفتين، والتحقق [٥٤ظ] بالحسنيين، وفي هذا المقام [قلت]:

فأنت عبد وأنت رب ... لمن له فيه أنت عبدُ[2]
وأنت رب وأنت عبد ... لمن له في الخطاب عهدُ

فأنت عبد له من حيث وسلطانه عليك، وأنت رب له من حيث ظهور سلطانك فيه، على من دونك وعليه أيضاً، من حيث إجابته لك ولسواك حين تدعوه، فما أنت على كل حال إلاّ تعيين من تعيناته، وتجلٍ من تجلياته، وأنت أيضاً رب من حيث ظهور الربوبية بك وفيك، لرب خاطبك بخطاب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[3] فقلت: بلى، بين العباد الراضين بربوبيته، المرضين

---

(١) من الطويل.

(٢) من المنسرح، فصوص الحكم، ٩٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حين قالوا ما قلت، ونالوا ما نلت، وما توجه خطاب من الأحدي الذات إليك خاصة، فلهذا قيل:

فكل عقد عليه شخص يحلّه من سواه عقدُ[(١)]

فإن عبد اللّطيف والرؤوف على عقده يحلّه عقد وعزيمة عليها القهار المعز، وعبد الظاهر على عقد يحلّه الباطن، وبالعكس فهذا حكم جميع المربوبين والأرباب من غير تخليط ولا تخبيط بين المقامات والعقائد، فكل مرضي عند ربه، فرضي اللّه عن عبيده، فهم مرضيون، ورضوا عنه، فهو مرضي، فتقابلت حضرات الأرباب، وحضرات العباد، تقابل الأمثال؛ لأن كل واحدة من الحضرتين مرضية عند الأخرى، راضٍ بها، فالمثلية بين الحضرات تامة، فالتضاد كذلك، فقابلت كل واحدة غيرها، الضد الضد[(٢)].

إذ المثل الحقيقي كالضد لعدم اجتماعه مع ضده، يعني: بمثله حقيقة، إذ لا تميز؛ لأنها[(٣)] فرضت على الأخرى؛ لأن حقيقتهما واحدة، وإذ لا تميز، فلا بينية، ولا اثنينية، فلا ضدية، ولا مثلية، فما ثمّ إلاّ وجود واحد، فهو هو لا غيره، فالوجود حقيقة واحدة تعينت في مراتب متميزة عقلاً، فما ثم عقل إلاّ متميزاً، وأيضاً فما ثم مثل يوجب الاثنينية، فالمظهر عين الظاهر، والظاهر عين المظهر، فانظر تشهد الخلق في مرآة الحق، والحق في مرآة الخلق، فترى العجب العجاب:

فلم يبق إلاّ الحق لم يبق كائنُ
فما ثم موصول وما ثم بائنُ[(٤)]
بذا جاء برهان[(٥)] الحديث فما أرى
بعيني إلاّ عينه إذ أُعاينُ

ذلك لمن خشي ربه أن يكونه، لعلمه بالتميز، يعني: لما ثبتت مرتبة الرب عن مرتبة

---

(١) من المنسرح، فصوص الحكم، ٩٢.

(٢) «فرضي اللّه عن عبيده، فهم مرضيون، ورضوا عنه فهو مرضي، فتقابلت الحضرتان تقابل الأمثال، والأمثال أضداد؛ لأن المثلين لا يجتمعان إذ لا يتميزان، وما ثم إلاّ متميز، فما ثم مثل، فما في الوجود مثل، فما في الوجود ضد، فإن الوجود حقيقة واحدة، والشيء لا يضاد نفسه». فصوص الحكم، ٩٢.

(٣) في الأصل «لأنهما».

(٤) من الطويل، فصوص الحكم، ٩٣.

(٥) في فصوص الحكم، ٩٣ (العيان).



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العبد، خشي العبد ربه، أن يكون بحصول العلم في العقل بالتميز، فوقف على مركز عبدانيته، مرضياً عند ربه، لكونه راضياً بربوبيته له وعليه، ورضي به الرب غاية الرضى بعبوديته، به وله وعليه وفيه، وقد دلّنا على التميز جهل أعيان في الوجود، بما أتى به عالم فوقع التميز بين العبيد وبين الأرباب، لتفسر الاسم الواحد الإلهي بجميع الوجوه من جميع وجوهه، وذلك من حيث الذات الأحدية، فالمعز لا يفسر بالمذل، والأول لا يفسر بالآخر، والرحيم لا يفسر بالقهار[1]، من حيث خصوصيات الأسماء، ولكنه يفسّر بضده وغيره من حيث عين تلك الذات الأحدية المتجلية بجميع الأسماء؛ لأنه تعالى من حيث ذاته لا ضد له، ولا ند له في الحضرة الأحدية، وفي الحضرة الواحدية [٥٥و] باعتبار كثرة الأسماء، فالأسماء أضداد وأنداد، ولما كان لأسماء الحضرة لكل اسم دلالتان: دلالة على الذات المسماة بالأسماء كلها، فيوضع ويحمل عليه سائر الأسماء؛ لأنه عين تلك الذات المتجلية به، وبالأسماء كلها، ودلالة مخصوصة هي مفهومة، يمتاز بها عن غيره من الأسماء[2]، كالحي من العليم، والقاهر من اللطيف، وكل اسم له خصوصية وحقيقة، وكل حقيقة لها ظهور وآثار في العلم والعين:

فـلا تـنـظـر إلـى الـحـقِ وتـعـريـه عـن الـخـلـقِ[3]
ولا تـنـظـر إلـى الـخـلـقِ وتـكـسـوه سـوى الـحـقِ

يعني أن الحقية تستلزم الخلقية، استلزام الرب للمربوب، والخالق للمخلوق، والإله للمألوه، لما بينهما من التضايف، فلا يلاحظ أحدهما بدون الآخر، وكذا عكسه؛ لأن الاستلزام من التضايف من الجانبين؛ ولأن الخلق إذا نظرته من غير خلعة الوجود الحق، بقي على عدمه

---

(١) «ذلك لمن خشي ربه، أن يكونه لعلمه بالتميز، دلنا على ذلك جهل أعيان في الوجود بما أتى به عالم، فقد وقع التمييز بين العبيد، فقد وقع التمييز بين الأرباب، ولو لم يقع التميز لفسّر الاسم الواحد الإلهي من جميع وجوهه بما يفسّر الآخر، والمعز لا يفسر بتفسير المذل إلى مثل ذلك، لكنه هو من وجه الأحدية كما نقول في كل اسم إنه دليل على الذات، وعلى حقيقته من حيث هو، فالمسمى واحد، فالمعز هو المذل من حيث المسمى، والمعز ليس المذل من حيث نفسه وحقيقته، فإن المفهوم يختلف في الفهم في كل واحد منهما». فصوص الحكم، ٩٣.

(٢) «فالذي لمسمى الله، هو الذي لتلك الصورة، ولا يقال هي هو، ولا هي غيره، وقد أشار أبو القاسم بن قسي في خلعه إلى هذا بقوله: إن كل اسم إلهي يتسمى بجميع الأسماء الإلهية، وينعت بها، وذلك أن كل اسم يدل على الذات وعلى المعنى، الذي سبق له ويطلبه، فمن حيث دلالته على الذات له جميع الأسماء، ومن حيث دلالته على المعنى الذي ينفرد به، يتميز عن غيره، كالرب والخالق والمصوّر إلى غير ذلك». فصوص الحكم، ٧٩.

(٣) فصوص الحكم، ٩٣.



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأصلي؛ لأنه إنْ نظرته كذلك، رجع إلى عدميته الأصلية، فإن الخلق لفظ مفترى على الحق، فإذا عريته عن الحق لم يبق ما سميته[1] به، وما الخلق إلاّ اختلاق وبهتة على الحق:

﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾[2]، وإنما هو تجلي وجوده في بعض مراتب شهوده، فلو نظرت بخِلع الخِلع الوجودية الحقية عنه، لم يبق شيء، فعند ذلك تجد اللّه هناك، يعني تجد اللّه عنده؛ لأنه يستحيل وجود الخلق بدون الحق، ويستحيل حصر الحق في الخلق:

**ونَـــزِّهـــه وشـــبِّـــهـــهُ　　وقُـمْ فـي الـمـقـعـدِ الـصـدقِ[3]**
**وكــنْ فــي الــجــمــع إنْ شِـئـتَ　　وإن شِـئـتَ فـفـي الـفـرقِ**

يعني نزّهه عن [أن] يكون متعيناً بتعين، فيشبه متعيناً آخر، فإذاً يلزم الشرك، وشبّهه بالخلق من حيث الحقيقة، فيكون عين كل متعين، إذ لا موجود سواه، فهو هو، كان ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، فاجمع بين التنزيه والتشبيه، بنفي ما سواه مطلقاً، فتقوم بمقعد الصدق، في مقام التوحيد الذاتي، والجمع بين المطلق والمقيّد، فكن بالجمع ناظراً إلى الحق بدون الخلق، فإن الوجود ليس إلاّ له، بل هو هو، وإن شئت لاحظت الخلق في الحق، بتعدد الواحد بالذات، الكثير بالأسماء والتعينات، فكن في الفرق باعتبار التعينات الخلقية، واندراج الهوية الحقية، في الهوية الخلقية:

**تَــحُــز بــالــكــلِّ إن كــلٍ[4]　　تــبــدى قــصــبَ الــســبــقِ[5]**
**فــلا تــفــنــى ولا تــبــقــى　　ولا تُــفــنــي ولا تُــبــقــي**

يعني: إذا كنت في الجمع وفي الفرق بعد الجمع بحسب المشيئة، تحز قصب السبق بالكل منهما؛ لأن الكل جمع وفرق، كل منهما تبدى لك، بحيث لا تحتجب بأحدهما عن الآخر، فتشهد الخلق حقاً، والحق خلقاً، والحق حقاً، والخلق خلقاً، فلا يحجبك أحد الشهودين من الآخر، ولم يفتك شهوده؛ لأن الكل ليس إلاّ هو، ولا يختلف إلاّ بالاعتبارات، فلا تفنى عند كونك حقاً عن الخلقية، ولا تبقى حقاً بلا خلق؛ لأن الحقيقة واحدة، فلك أن تكون حقاً بلا خلق، أو خلقاً بلا حق، وخلقاً وحقاً معاً، ولا يفنى الخلق عند تجلي الحق،

---

(١) في الأصل «سميه».
(٢) سورة النور، الآية ٣٩.
(٣) من مجزوء الهزج، فصوص الحكم، ٩٣.
(٤) في الأصل «لكل».
(٥) من مجزوء الهزج، فصوص الحكم، ٩٣.



PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإنه فانٍ حقيقة في الأزل، فكيف يفنيه، ولا يبقى الحق فإنه باقٍ لم يزل، ولك أن تشهدهما وتبينهما كل في رتبته واحداً في وجود واحد لامعاً:

ولا يُلقى عليك الوحي في غيرٍ ولا تُلقي[1]

لأن معنى الوجود واحد لا غير، فإن كنت عبداً يلقى عليك الوحي منك وفيك، لا من غيرك، ولا في غيرك، وإن كنت رباً فلا تلقى في غير، وما ثم غير؛ لأن الوجود واحد، أُحدٌ في المدد، كثير في العدد، وله الأزل والأبد، والدوام والسرمد، فهو الأول والآخر والباطن والظاهر، وهو بكل شيء عليم، وبتجلي ذاته العزيز، وبأسمائه وصفاته وأفعاله الحكيم، وسبحان اللّه، وما أنا من المشركين، وسلام على المرسلين، والحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا (محمد)، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين آمين.

---

(١) من مجزوء الهزج، فصوص الحكم، ٩٣.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com